الصحة المدرسية..
«ياغائب..متى يا
التربية تكف يدها والص

من الممكن أن تقوم الصحة المدرسية بأدوار كبيرة في نواحٍ عديدة في أمر تعد فيه اللبنة الأساسية للتوجيه الوقائي ونقطة الأساس لتحسين مستوى الصحة والارتقاء بالواقع الصحي، والوصول الى مجتمع معافى قادر على تحمل مسئولياته الوطنية في البناء والتنمية.. هذه القضية أولتها الكثير من الدول اهتماماً بالغاً في الوقت الذي غدت فيه الصحة المدرسية جانباً أساسياً في العملية التعليمية يستحيل الاستغناء عن دورها باعتبار أن «العقل السليم في الجسم السليم» الى جانب أنها تعمل على تطوير البيئة المدرسية .. وتنمية المهارات الفردية والاكتشاف المبكر للأمراض... والوقاية منها.. غير أن الواقع الحالي للصحة المدرسية الذي يكاد يغيب فيه أي دور لها..

كل هذا يدفعنا الى إطلاق الكثير من التساؤلات القلقة حول اختفاء الأنشطة المعهودة في هذا الجانب والمسببات التي توارى خلفها دور الصحة المدرسية..

تحقيق/سعيد الجعفري

وقع «رمزي» تحت وطاة المرض فجاة ويجد الأطباء صعوبة في إيقاف حالته الصحية المتدهورة.. ويتذكر والد رمزي بحزن وألم شديدين حيوية رمزي ونشاطه وشغفه باللعب وصحته الجيدة.. بل ويتذكرون مشاكساته مع أطفال الجيران.. يتذكرون ذلك بعد أن داهمهم اليأس في تحسن حالته الصحية وأرهقتهم روشتات العلاج وأعياهم البحث عن طلب الشفاء، ولم يعد رمزي يلح على والدته السماح له بمغادرة المنزل للعب مع الأطفال، فقد تخلى عن جميع مطالبه بعد أن سلب المرض عافيته وحيويته وأقعده على الفراش..

ربما بانتظار الموت.. بعينين تنهال منهما الدموع بغزارة وبصوت متقطع يكاد يسبقه البكاء، يقول والد رمزي لم يكن يشكو رمزي من أي مرض كانت حالته الصحية جيدة.. وتحت هذا الاعتقاد لم يفكر في أخذ ابنه للطبيب للمعاينة والاطمئنان منذ أكثر من عامين..

شخّص الأطباء حالة رمزي الصحية بروماتيزم بالقلب... أتعرفون الأسباب التي أدت الى اصابته بذلك فجأة.. والسبب تماماً كما قال الأطباء لوالده «الحائر» الذي وحتى اللحظة غير قادر على التصديق مشككاً في صحة الرؤية يرجع الى تسوس الأسنان.. ترى كم أب يجهل أن تسوس الأسنان لدى الأطفال وتاخر الذهاب به الى الطبيب قد يتسبب في مضاعفة الحالة والإصابة بروماتيزم القلب..

رمزي وآلاف الأطفال بحاجة الى وجود شيء اسمه الصحة المدرسية من خلالها تتسنى عملية التوعية والكشف المبكر للمرض وإجراء فحوصات شاملة لأطفال المدارس.

دور حيوي

من هنا تكمن أهمية الصحة المدرسية التي يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في التوعية بالقضايا الصحية ومحاصرة الأمراض ومنع انتشارها.. ويعتبر د/خالد الارياني- مدير عام مكتب الصحة بالأمانة بأن الصحة المدرسية ليست قضية ثانوية أو هامشية يمكن تغييب دورها أو الاستغناء عنها بقدر ماهي ضرورة ملحة تفرضها معطيات الواقع.. ويعتبر أن الصحة المدرسية الطريق الى تحسين الأوضاع الصحية والوسيلة المثلى في محاصرة المرض، والحد من انتشاره وتجنب مضاعفاته.. في عصر تولي فيه الكثير من دول العالم الصحة المدرسية اهتماماً كبيراً وتتخذ منها الوسيلة في تنفيذ العديد من البرامج.. وحيث تتركز معظم الجهود على الطب الوقائي عبر حملات دعائية وإعلامية تهدف الى خلق وعي لدى أفراد المجتمع بالوسائل الوقائية لتجنب الإصابة بالأمراض من خلال اتباع الارشادات الكفيلة للوصول الى هذه الغاية، في الوقت الذي ثبت فيه أن التركيز على الطب الوقائي وسيلة قد تغني عن استخدام الطب العلاجي الذي يتسم بالكلفة الشاقة على الدول والأفراد ويحتاج للكثير من الامكانات والمتطلبات التي قد تغدو غير ضرورية في حالة ما نجحت أساليب الطب الوقائي وحملات التوعية باعتبار أن تجنب الأسباب أفضل من الوقوع فيها والغرق في معالجة عواقبها بحسب مدير عام مكتب الصحة.. وتجد تلك الدول من الصحة المدرسية الوسيلة التي تمر من خلالها في تطبيق البرامج المتنوعة والمتعددة للطب الوقائي وتسخر لها ميزانيات كبيرة من النفقات المخصصة لقضايا التعليم والصحة وذلك من أجل محاصرة المرض ومنع انتشاره وتجنب وقوعه..

الحاجة الملحة

تزداد الحاجة هنا في بلادنا للصحة المدرسية وفقاً لمعطيات عديدة، فإذا ما عرفنا أن الكثير من الأمراض الخطيرة التي قد تصيب المرء هي مضاعفات لأعراض صحية بسيطة كان بالإمكان مواجهتها بسهولة مع أول زيارة للمستشفى... فالإهمال في حالات التهاب اللوز لدى الأطفال أو التغاضي عن تسوس الأسنان قد يؤديان الى مضاعفة الحالة وتطورها الى روماتيزم في القلب.. قد تودي بحياة المصاب أو يتطلب مرحلة شاقة وطويلة في العلاج مع أن الأمر لم يكن يحتاج الى أي عناء فيما لو تم علاج الطفل من التهاب اللوزتين أو تسوس الأسنان.. ومن البديهي أن أي عارض صحي والاهمال في العلاج يزيد من حجم المرض ويؤدي الى مضاعفات أخرى.

الى جانب وضع المجتمع الذي لا يعير أفراده مسألة الذهاب الى الطبيب لإجراء الفحوصات اللازمة لغرض اكتشاف المرض مبكراً أي أهمية.. والتعامل السلبي مع الأعراض المرضية التي قد تبدو بسيطة.. وعندما قام مكتب الصحة العامة والسكان بأمانة العاصمة بحملة ميدانية للعديد من المدارس جاءت النتائج لتكشف واقعاً مأساوياً تزداد معه الحاجة لتنشيط برامج الصحة المدرسية.. الكثير من الأطفال في السنوات الدراسية الأولى لم يتلقوا التطعيم اللازم ضد بعض الأمراض ولم يسبق أن تم عرضهم على الطبيب وغيرها من النتائج تضعنا قطعاً أمام الجزم بأهمية الصحة المدرسية..

نتائج ميدانية

● مدير عام مكتب الصحة العامة والسكان بالأمانة د/خالد الارياني يوضح أنه أثناء تنفيذ الحملات الميدانية في العديد من المدارس في سياق النشاط المتعلق بالصحة المدرسية تبين أن العديد من الأطفال لم يخضعوا لأي فحوصات طبية تسمح بالتعرف على وضعهم الصحي الذي يؤثر بصورة كبيرة على مستوياتهم التعليمية.. ففي مديرية آزال أظهرت نتائج الفحص أن ٩٪ من أطفال المديرية يعانون من ضعف ومشاكل في النظر و٢٥٪ منهم لم يتلقوا جرعات التطعيم و٣٠٪ يعانون من تسوس في الأسنان وغيرها من المشاكل الصحية الأخرى، ويضيف : إلاّ أن الكثير من الأطفال لا يذهبون للطبيب لإجراء الفحوصات والمعاينة ويقول: عندما شاهدت الاقبال الكبير من قبل أولياء الأمور للفحوصات والمعاينة في المديريات التي نفذنا فيها الحملات نتيجة لحالاتهم المادية الصعبة التي معها لا يستطيعون الاتجاه الى المستشفيات ترسخت لدي القناعة بضرورة بذل المزيد من الجهود المتعلقة في هذا الخصوص- وسيكون من الآن مطلوب إخضاع الطلاب للفحوصات الشاملة والمتابعة المستمرة من خلال البطاقة الصحية أسوة بالعديد من دول العالم.

● شهاب علي القدسي- وكيل مدرسة صلاح الدين بالأمانة يعتبر الصحة المدرسية غائبة تماماً ويقول: ليس هناك أي أنشطة تنفذ في مجال الصحة المدرسية ولم نلمس أي دور لوزارة التربية والتعليم في هذا الجانب ولم تنفذ أي حملات صحية رغم الحاجة الملحة لهذا الدور خصوصاً في ظل انتشار الكثير من الأمراض وخصوصاً بعض الأمراض المعدية كالجدري والحصبة وهو ما يستدعي التحرك الجاد في تفعيل دور الصحة المدرسية، ويقترح تنفيذ البرامج التثقيفية في المدارس من خلال الصحة المدرسية..

هدى سعيد المدحجي- مدرسة من واقع عملها كمربية للصف الأول أساسي في مدرسة صلاح الدين تؤكد أهمية دور الصحة المدرسية إذ تقول: يحتاج الطلاب الصغار للرعاية الصحية الضرورية، فهناك أطفال يعانون من أمراض عدة مثل ضعف في النظر والسمع وفقر الدم وغيرها، وهؤلاء يحتاجون للرعاية لأن أوضاعهم تلك تؤثر على مستوى التحصيل.. وتلاحظ ضعفاً وتدنياً في مستوى تحصيلهم وتعتقد أن وجود الصحة المدرسية ضروري لمثل هؤلاء الطلاب قبل أن تتضاعف حالاتهم وتسير الأوضاع بصورة سيئة.

□ مدارس بلا مشرفين صحيين والتلاميذ بحاجة ماسة للرعاية.

□ تفعيل دور الصحة المدرسية يعني اكتشافاً مبكراً للمرض.

نتائج الزيارات

● لم تعد تعرف الكثير من المدارس عن الصحة المدرسية شيئاً، فعدد المشرفين الصحيين التابعين لإدارة الصحة المدرسية ضئيل لا يتجاوز الـ ١٣ مشرفاً، وبات الحديث عن الصحة المدرسية شيئاً من الماضي تكاد تنساه العديد من المدارس وإن كانت الادارات المدرسية تتذكر الدور الذي كانت تقوم به الصحة المدرسية ذات يوم وتشاركنا الرأي عن ضرورة إعادة تفعيل هذا الدور.

وما هو حاصل اليوم إما غياب كلي لأي مظهر يتعلق بالنشاط الصحي أو جهود ذاتية لا تفي بالغرض من قبل بعض الإدارات المدرسية تحت دواعي الإلحاح والظروف التي قد تطرأ.

وفي مدرسة صلاح الدين بأمانة العاصمة ليس هناك أي نشاط في الجانب الصحي من قبل المعنيين في وزارة التربية والتعليم، ولا تتلقى المدرسة أي دعم لهذا الغرض، مديرة المدرسة نبيلة عبدالله الأكوع بعد تاكيدها على أهمية دور الصحة المدرسية تبدي استغرابها لإغفال الجهات المعنية لهذا الدور وعدم الاهتمام بها، وتشير الى عدم تلقي المدرسة لأي دعم من قبل الوزارة لغرض الصحة المدرسية، وليس هناك ما يمكن ذكره حول ذلك إلا أن جهود المدرسة في هذا المجال واضحة، فأول ما يبدو ملفتاً للانتباه وأنت لاتزال في ساحة المدرسة مستوى النظافة الجيد بالمدرسة الذي يعد أفضل من الكثير من المدارس الأخرى، وعلى الرغم من أن المديرة لم يمض على فترة توليها للمدرسة إلا أربعة أشهر إلا أنها كانت قد انتبهت لهذا الدور وعينت وكيلة المدرسة كمشرفة صحية تتولى متابعة القضايا الصحية بالمدرسة، وعملت على توفير المواد الاسعافية الأولية بجهود ذاتية.. وتقول: لقد وفرنا صيدلية اسعافية لمواجهة أي طارئ فمن غير المعقول أن تبقى المدرسة بدون توفر بعض الأدوية ومواد الاسعافات الأولية لأن هناك حالات طارئة نحن مضطرين لمواجهتها..

وتنتقد المديرة غياب الاهتمام من قبل المعنيين بالصحة المدرسية وتلفت الانتباه الى البيئة المحيطة بالمدرسة إذ أن ظهور بعض المخلفات والأوساخ المحيطة بالمدرسة قد يتسبب بإصابة الطلاب ببعض الأمراض.

وتشكو وكيلة المدرسة والمشرفة الصحية من واقع الصحة المدرسية الحالي على وجه العموم.. وتشير الى أنه على الرغم من توفير ادارة المدرسية لبعض الأدوية والمواد الاسعافية إلا أن عدم وجود غرفة مخصصة لها يمثل صعوبة أخرى.. فالفصول مزدحمة بالطلاب ومن الصعب تخصيص غرفة لها.. وتوضح أن الوضع داخل المدرسة يستدعي الاهتمام بالقضايا الصحية وهناك حالات مرضية تظهر بين صفوف الطلاب والبعض يتعرض للخدوش إما بسبب السقوط أو غيره..

وتخلص وكيلة المدرسة نبيلة الشامي الى مطالبة الجهات المعنية بالاهتمام بالصحة المدرسية وإعادة تفعيلها.

أم أسامة ضبيان- وكيلة مدرسة أم سليم منطقة السبعين بالأمانة تفيد بأنه ليس هناك أي دور للصحة المدرسية بالمدرسة ، ولم تنفذ بالمدرسة أية أنشطة تتعلق بهذا الجانب وأنه لا يوجد بالمدرسة مشرفة صحية بالنسبة للفترة الصباحية، ولا تتلقى المدرسة أي دعم في هذا الجانب، ولم يخضع الطلاب لأي فحوصات طبية أو لقاحات وقائية، وتقترح أن يتم تدريب العديد من الكوادر في المدارس للعمل في هذا الجانب في مجالات الاسعافات الأولية والتوعية بالقضايا الصحية والأساليب المتبعة في الوقاية من الأمراض وغيرها.

للتذكير

● تجد نفسها وزارة التربية والتعليم كل عام في مواجهة متطلبات كبيرة للعملية التعليمية من توفير المدرسين والكتاب المدرسي وغيرها من الاحتياجات الأخرى ناهيك عن عملية الترميمات وإنشاء المباني المدرسية والمستلزمات الضرورية و...و... الخ

وتنسى في غمرة مشاغلها وهي تتحدث عن انجازات عادة ما تستبق الاعلان الرسمي لموعد بدء العام الدراسي موضوع الصحة المدرسية..

لذلك يستدعي التذكير بدور الصحة المدرسية التي لم نعد نسمع عنها شيئاً.. لا نشاط ولا توعية حتى كادت أن تغيب من الذاكرة بعد أن كانت ذات يوم تقدم الكثير..

فإذا تناست الوزارة هذا الدور في غفلة من مهام كبيرة تسهر على انجازها.. فإن من واجبنا أن نذكرها بأن العقل السليم في الجسم السليم.. وأن الملايين التي تصرف من ميزانية الدولة على العملية التعليمية قد تذهب هدراً مالم يتم الاهتمام ببناء هذه الأجيال وتوفير الرعاية الصحية المناسبة لهم.. لأن العقل السليم في الجسم السليم..وعدم اكتراث الوزارة بهذا الدور يتضح من خلال واقع مكتب الصحة المدرسية بالأمانة، وهناك لم أكن أعرف أنني سوف أتسبب بحرج لأحد الموظفين عندما طلبت منه السماح لي بالاتصال لأفاجأ بأن الرقم مفصول منذ أشهر وترفض الوزارة اعتماد المبلغ الرمزي لتسديد الفاتورة.. وفي الماضي كان المكتب يتسلم مبلغ خمسين ألف سنوياً وهو مبلغ ضئيل جداً تم قطعه من سنوات.. وقريباً يمكن أن يتم تأميم المبنى وتسليمه لمدرسة عبدالناصر بحسب مخاوف موظفي المكتب..

إدارة الصحة المدرسية تعمل في ظل ظروف بالغة الصعوبة، ومنذ ٢٥عاماً حتى اليوم لازالت إدارة المكتب تلاحق المعنيين من أجل التأثيث اللازم للمكتب الذي يعمل بدون ميزانية تشغيله وبدون كادر طبي يفي بالغرض وغيرها من الصعوبات..

● عبدالرحمن هاشم- مختص بمكتب الصحة المدرسية يقول:

تمر الصحة المدرسية حالياً بأسوأ مراحلها ولا تستطيع تقديم أي شيء من المهام المناطة بها نظراً لجملة من المعوقات التي تعترضها وعدم توفير الامكانيات اللازمة للعمل.. فالصحة المدرسية تعاني من تهميش الوزارة لها وللأسف الشديد نحن لا نتلقى أي دعم من قبل وزارة التربية والتعليم، وتقابل مطالبنا التي نضعها أمام الوزارة بالتجاهل فليس هناك أي اهتمام بقضايا الصحة المدرسية ولا نستطيع تنفيذ أي أنشطة أو مهام نتطلع بها في تفعيل دور الصحة المدرسية، ويقتصر دورنا على منح الاجازات للمدرسين والاداريين بعد أن يأتي الينا كل من يرغب في الحصول على إجازة شريطة أن يكون مستحقاً في منحة اجازة ولديه ما يثبت ذلك- كإفادة من أحد المستشفيات الحكومية عن حالته الصحية التي تستدعي حاجته للحصول على إجازة..

غياب الكادر

● يتطرق محمد عبده الآنسي- مدير شئون الموظفين بالمكتب بعد أن ينتقد الوضع الذي تمر به الصحة المدرسية الى غياب الكادر الصحي المتخصص فيقول: تحتاج الصحة المدرسية الى كادر طبي وفني بشكل كبير وليس لدينا سوى عدد بسيط من المشرفين الذين لايزيد عددهم عن ١٣ مشرفاً جرى توزيعهم على المدارس وهذا العدد لا يمثل شيئاً أمام واقع الاحتياج الفعلي وما كان لدينا من كادر في الفترة السابقة.

انتقل أغلبهم للعمل في المرافق الصحية التابعة لوزارة الصحة نظراً للظروف الصعبة التي تعاني منها الصحة المدرسية، فعملهم في الصحة المدرسية يحرمهم من الحصول على أي حوافز أو مكافآت أسوة بزملائهم العاملين في